مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة بتيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 07/ العـدد: 01/ جوان(2023)، ص.140/130

التآلف الحضاري في روايتي (فضل الليل على النهار) و(المعادلة الأفريقية) لـ"ياسمينة خضرا"

Civilization Harmony in novels (What the Day Owes the Night) and (The African Equation) by Yasmina Khadra

بن ربيعي فطيمة *
benrebaif@gmail.com
جامعة المدية
(الجزائر)

بوجلال جميلة
boudjellaldjamila89@gmail.com
جامعة المدية
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/11/16 تاريخ القبول: 2023/04/14 تاريخ النشر: 2023/06/02

ملخص:

يتناول هذا المقال قضية التآلفالحضاري**Laphilie** التي تعد أطروحة من أطروحات الصراع المتوارث بين الأقطاب الحضارية، أو من النتائج المتمخضة عنه - والتي أصبحت من القضايا الحاضرة في الخطابات الأدبية بعدما فرضت نفسها على الخطابات الفكرية والسياسية- وهي ما تطمح إلى تحقيقه رؤية ما بعد الإمبريالية. وروايتا (**فضل الليل على النهار Ce que le jour doit à la nuit**) و(**المعادلة الأفريقيةL'EquationAfricaine**) لـ"ياسمينة خضرا" تقدمان نموذجا للتآلف الحضاري؛ من خلال طرح مشروع ما بعد الكلونيالية، والحوار بين طرفي العلاقة الحضارية (مستعمِر/ مستعمرَ- شمال / جنوب)؛ وذلك من خلال نموذج العم "**ماحي**" الجزائري المجاهد في قصته مع زوجته "**جيرمين**" الفرنسية المسيحية، ونموذج الشاب "**يونس/ جوناس**" في قصته مع أبناء الحي الفرنسيين (الأقدام السوداء) في (فضل الليل على النهار)، ونموذج الطبيب الألماني "**كيرت كروزمان**" وصديقه "**هانز**" و"**بورنو**"الفرنسيمع "**شاولو**chaolo" أو (القمر الأسود black moon) و"**جوما**" الأفريقيين في (المعادلة الأفريقية).

كلمات مفتاحية:تآلف،مستعمِر، مستعمرَ، شمال، جنوب، فصل الليل على النهار، المعادلة الأفريقية، ياسمينة خضرا

Abstract ;

This article addresses the issue of Civilization Harmony, one of the theses arising of the inherited conflict or 'clash' between the poles of civilization. Aspiring to achieve harmony in the post-imperialist era, this vision has not been only imposed on the intellectual or political discourses but permeates also the literary discourses. This is the case of the two novels (What the Day Owes the Night) and (The African Equation) by Yasmina Khadra, which provide a model of such harmony through the construction of a postcolonialism project and dialogue between two related sides (colonizer/ colonized - north / south). The two novels provide an account of the story of Uncle "Mahi" the mujahid and his French Christian wife "Jermaine", through the character of young "Younis/ Jonas" and his story with the children of the French neighborhood (black feet) in (What the Day Owes the Night), and the story of the German doctor "Kurt Kreuzmann" and his friend "Hans" and French Borno with Chaolo or (black moon) and Goma Africans in (The African Equation).

*المؤلف المرسل

Keywords: *harmony;colonizer;colonized;north; The African Equation ; What the Day Owes the Night; Yasmina Khadra*

1. تقديم :

إن العلاقة بين الأقطاب الحضارية الكبرى تشوبها تجاذبات وصراعات نتجت عنها مواقف ثابتة متوارثة على مراحل تاريخية ومحطات حضارية كبرى، يتراوح أغلبها بين موقفي (**الهوس**) و(**الرهاب**) [1]؛ وذلك نتيجة أطروحات مسبقة (**كليشيهات**)[2] ساهمت في ترسيخها عوامل سياسية وامبريالية، جعلت إمكانية التواصل بين تلك الأقطاب مستحيلة، لذا فإمكانية تجسيد روابط الصلة يُلزم موقفا مخالفا لهما؛ لا هو رهاب من الآخر ولا هو هوس مطلق به. فبانتشار الكولونيالية رُوج لجملة من القيم والقواعد بعينها، وَجهت العلاقات بين الأقطاب الحضارية الكبرى على أساس خلفيات إيديولوجية، ما سبب اختلال تلك العلاقات وترديها بعدما رُجّحت أطراف الكفة لصالحه أقطاب على حساب الأطراف الأخرى، بحجة امتلاكها للأداة الحضارية دون الثانية، مسلمة إياها حق التحكم في توجيه تلك العلاقات وتسطير نتائجها، والسيطرة على الممتلكات الثقافية والحضارية، ومن ثم ركن الأطراف الأخرى في الزاوية لتُراكم عليها -عبر العصور- أحكامها ونظرياتها وقوانينها، وكليشيهاتها النمطية المتوارثة، ولعل أبرز مثال على ذلك توجيه العلاقة بين (المستعمِر والمستعمَر)؛ كثنائية ذات حمولة إديولوجية وثقافية غنية بالصور والقوالب الخاضعة لقيمه، فـ « الفكر الكولونيالي بطبيعة الحال فكر مقارن يقوم على وجود قطبين هما المستعمِر والمستعمَر، وبما أن الغالب هو الذي يحدد نظم الفكر، غالبا، تأخذ هذه المقارنة شكل الأنا والآخر دون تعريف هذا الآخر إلا بأنه غير الغرب ».[3]

لذا ومع الدعوات المناهضة للإمبريالية وسليلتها الكولونيالية، وخاصة في عهد ما بعد الكولونيالية، تأكدت أكثر فكرة أطروحة (التآلف/ التسامح الحضاري) في رؤيتها لعالم تتقبل أقطابه بعضها بعضا؛ بل وتتآلف في تكامل متناسق لتجسيد رؤية إنسانية وحضارية أشمل، تحتفي بأقطابها على اختلافها وتباينها، دون إسقاط طرف على حساب الأخذ بطرف آخر.

وهذا ما حاولت محاكاته العديد من المدونات الروائية الحديثة والمعاصرة التي طرحت رؤيتها الحضارية التي تعكس جانبا من الصراع المتوارث، بداية بالروايات الحضارية الأولى حيث « تعد رائعة الطيب صالح الروائية واقعة تكفي بحد ذاتها للدلالة على مدى ارتجاجية مفهوم الشرق والغرب وعدم مطابقته للواقع فالشرق شرق والغرب غرب ما دامت أفريقيا مسقطة من الحساب »[4]، بالإضافة إلى عديد المتون المعاصرة، ولعل "ياسمينة خضرا" يحاول كل مرة أن يقدم حبكة تحمل العديد من القضايا الحضارية والثقافية؛ فروايتاه (**فضل الليل على النهار Ce que le jour doit à la nuit**) و(**المعادلة الأفريقيةL'EquationAfricaine**) تقدم من خلال توليفة شخوصها - على اختلاف انتمائها الحضاري_ جانبا من تلك العلاقات بتأزماتها وانفراجاتها، طارحة رؤية حضارية تعكس طموح صاحبها ومشروعه الإنساني.

فما هي القضايا الحضارية التي تعالجها الروايتان ؟ وما هو النموذج الحضاري الذي يطرحه "ياسمينة خضرا" من خلال العلاقات التي احتكمت مجتمع روايتيه ؟

سنحاول فيما يأتي من العناصر معالجة أبرز الأفكار المطروحة سابقا، والمتجلية في الروايتين، محل الدراسة، من خلال الإجابة عن التساؤلات المطروحة ومحاورة قضاياها المترتبة عنها.

2. أطروحة التآلف الحضاري:

بات من الضروري - نتيجة للمواقف السابقة الذكر (الهوس والرهاب) - التفكير في طرح يتجاوز تلك المواقف العدائية بين الأقطاب الحضارية الكبرى؛حيث تكون (**الأنا**) إما مهووسة بـ (**الآخر**) متنكرة لثقافتها المحلية، واما منتصرة لثقافتها في مقابل إنكارها لثقافة الآخر وتشويهها، ليكون هذا الموقف قائما على تقبل كل واحد منها للآخر وتسامحهما؛ ونقصد هنا موقف (**التآلف**) بين طرفي العلاقة الحضارية، و« يمكن أن يتحقق الاستيعاب الحضاري بين الأنا والآخر (الناظر والمنظور إليه)، إذا ما تحقق شرط أساسي، وهو الطرح الإيجابي للأنا والآخر في نظرتهما لبعضهما، فهو يقوم على المعارف المتبادلة، والتبادلات النقدية، وحوارات النّد للنّد، مطورا حوار الثقافات dialogue des cultures الحقيقي، على عكس المثاقفة الآلية l'acculturation mécanique التي

يفرضها (الهوس) و(الرهاب) بسبب تفضيل ثقافة على أخرى، وابعاد الآخر وموته الرمزي»[5]، وهنا يقدم الناقد الفرنسي **"دانيال هنري باجو Daniel-Henry Pageaux"** موقفا ثالثا وهو (**التسامح/التآلف** la philie) الذي يطرح رؤية للتقارب الحضاري الفعلي، وهو ما عبر عنه بقوله : « **التسامح هو الحالة الوحيدة للتبادل الحقيقي والثنائي**»[6] بين الأنا والآخر، فهو يعترف بالآخر الذي يعيش إلى جانب الأنا، وفي مقابلها، لا متفوقاً، ولا متدنياً عنها، لكنه متميز، ولا يستغنى عنه، فينتفي في هذه الحالة -كذلك- الهوس والانبهار، فالأنا تَعْتَد بذاتها وتتقبل الآخر، وتراه مكملا لها، مشكلا معها توليفة حضارية قائمة على تكامل الطرفين فكل طرف يكمل الآخر في الجوانب التي يتفوق بها عليه.

وفي تصوير مجازي يقول **"تييري هنتش" :«إن التكامل والاختلاف فيما بينهما يشبه ذلك الذي بين الزيت والخل، لأن مذاق مزاجهما قد يكون لذيذا لا طعم له فالخلط بينهما سرعان ما يعود للظهور، ويبدو أن هذا الخلط موجود منذ أقدم العصور... »**[7]، فالجوار الجغرافي والتفاعل السياسي والثقافي، والتبادلات الفكرية تفرض حتمية الاحتكاك بينها، ولطبيعة التناقض فإن الاختلاف في الموقف كان هو المسيطر والطاغي على طبيعة تلك العلاقات المتوارثة، ولتتجاوزها وتتدارك تلك المحطات الفاشلة بينها، لابد من تبني موقف جاد، والأخذ بأسباب التجاوز الفعلي للكليشيهات المروجة والسائدة« **ولاشك أن التسامح يحتاج إلى نضج فكري يقوم على التأمل والتمثل لا على استيراد الأفكار والمعطيات الأجنبية، وبالتالي يحتاج إلى حوار دائم بين الذات والآخر بعيدا عن العقد النفسية (الهوس، الرهاب) »**[8]، فالرقي الفكري في التعامل مع الآخر هو أساس تحقق الاستيعاب الحضاري.

كمانجد **"صمويل هنتغون"** يهتم بالمفهوم الثقافي والأيديولوجي للحضارة فهي - من منظوره- تمثل أعلى تجمع ثقافي للبشر وأوسع مستوى من الهوية الثقافية، وهي التي تميز البشر عن غيرهم من الأنواع الأخرى[9]؛ فهي تمثل مجموع السمات التي تميز المجموعة البشرية عن غيرها، ولعل أبرز ما يجمعها هو سمة الإنسانية، فالثقافة أو الهوية الثقافية الحضارية - والتي في أوسع معانيها الهوية الحضارية-هي التي تشكل النموذج الحقيقي لمعنى التماسك والتفكك الإنساني الحضاري، فالغاية الكبرى للحضارة الإنسانية : بناء أواصر التكافل الإنساني بين أفرادها والتعايش الودي بينهم وهذا أرقى مراتب التحضر والسمو،« **كما أنه ليس في تنوع الهويات وتعدد الخصوصيات، ما يتعارض وقضاء المصالح المشتركة بين الشعوب والأمم، في إطار التعاون" الإنساني القائم على قاعدتي التعارف والتعايش، وانما ينضوي هذا التنوع على عناصر تغذي الميول الإنسانية الفطرية وتدفعها إلى امتلاك أسباب التقدم والرقي بحافز من التنافس الطبيعي وبوازعالتدافع الحضاري »**[10].

على هذا، تكون **ما بعد الكولونيالية** بأفكارها الانتقادية لمبادئ الإمبريالية ومخططاتها الضد تحضرية، تحاول تقديم نموذج جديد لطبيعة العلاقات بين الأقطاب الحضارية في العالم الحديث، وإعطاء مفهوم سليم وصحي للحوار الحضاري، بالتركيز على تصحيح النموذج القديم الذي روجت له الإدارة الكولونيالة، وتوضيح طبيعة العلاقة التي تربط طرفي العلاقة (المستعمِر/ المستعمَر- شمال / جنوب). وهذا ما نحاول محاورة تيماته في روايتي **(فضل الليل على النهار)** و**(المعادلة الأفريقية)**لـ"ياسمينة خضرا"، من خلال تتبعها لواقع العلاقة بين الأنا والآخر في ظل وجود الآخر الاستعماري أو ما خلفه من آثار على القارة السمراء، برصد ملامحها من خلال الصلات السوسيوثقافية والجيوسياسية التي تربطهما.

3. الهوية الأفريقية في مقابل الهوية الأوروبية وتناقضات الموقف الحضاري :

تطرح الروايتان موضوع الهوية - في بعده الحضاري- لكل من أفريقيا الجنوب وأوروبا الشمال، بما تحمله هذه الهوية من تيمات وتناقضات، فهما متضادتان بكل ما تحمله التيمة من معان، وتترسخ معها واحدة من أكبر الثنائيات تمايزا وتباينا، إنه التباين والتقابل الحضاري بين (شمال) حامل لمعاني الاستقرار والرقي، في مقابل (جنوب)مضطرب ومتخلف ودوني، وهذا ما ترجمه الطبيب "كورت" في (المعادلة الأفريقية) حين يلوم زوجته "جيسيكا Jessika" التي وفر لها كل ما تحلم به امرأة، ورغم ذلك انتحرت دونأن تفكر فيه أو فيما سيحس به من ألم، و يواصل الحديث عنها و هو يرمي إطار صورتها على الأرض و يقول : «**أنا أتحدث عن جيسيكا، عن جيسي، عن نصفي الناعم، عن آمالي التي تبخرت كالدخان. كيف استطاعت أن تفعل بي ذلك؟ لقد رأيت في أفريقيا أناسا لا يملكون سوى الجلد على العظم، لا شيء يأكلونه، لا ينتظرون شيئا، يقاتلون في كل لحظة من حياتهم، أناس منهوبون،**

مضطهدون، يعاملون مثل الحيوانات. مطرودون من قراها، تائهون بين اللصوص والأمراض. تخيلي فقراء عزّل رغم ذلك لا يتخلون لحظة عن حياتهم البائسة، وجيسيكا التي كانت تملك كل أسباب السعادة، الكل، بيت رائع في مدينة جميلة، أصدقاء كثر، رصيد مملوء في البنك، مكتب فخم في شركة راقية، زوج لا يسمح لذرة غبار أن تسقط عليها. ماذا تفعل جيسيكا؟ ماذا فعلت بنا؟ وضعت حدا لحياتها بكل أريحية!ولماذا؟ من أجل ترقية ».[11] إن الأوضاع بين سكان الجنوب الذين عاينهم الطبيب الألماني/ الأوروبي ووضع زوجته المنتحرة متباينة، والحالة مغايرة، والموقف مناقض يجسد الثنائية الضدية (شمال - جنوب)؛ الثنائية «**الجذريةالواحدة(مستعمِر- / مستعمر)والتيبعادالتعبيرعنهفيأينصمعينبعددمنالطرق،مثل: المستعمِر:المستعمَر/ أبيض : أسود/ متحضر : بدائي/ خيّر : شرير/ جميل : قبيح/ ... إنساني : وحشي**».[12]

كما كانت المعاناة التي تخبط فيها الفتى "يونس"/"جونيس" بداية رحلة البحث عن الأصل والانتماء الحقيقي والهوية والمكان الأصلي، بعد اكتشافه زيف مزاعم الاستعمار الكولونيالي، واحدة من نتائج تلك الثنائيات الزائفة؛ فقد عاش بطل الرواية منقسما بين هويتين لبضع سنين؛ حيث كانت لحظة لجوئه للعيش تحت كنف العم لحظة تغيير للهوية؛ فزوجة العم الفرنسية اقترحت هوية ثانية (فرنسية) بتغيير اسمه لـ"جوناس"، حيث رد عليها معرفا نفسه، يقول في ذلك : «**اسمي "يونس" أردت علي ابتسامة لطيفة، لمست خدي براحة يدها وهمست في أذني: ليس الآن يا عزيزي**».[13]كما عملت على تنشئته تنشئة أوروبية (الملبس ونمط الحياة والدراسة).

و « بين "جوناس" و"يونس" يتجلى الوجه الآخر الذي كان يكتشف خبايا الآخر وزيف حضارته المتخفية وراء دعوى المساواة التي سرعان ما يكشف قناعها الواقع، حيث الظلم والهيمنة الممارسان على الأنا، ليكون ذلك منطلق البحث عن الهوية المفقودة »[14]، فالبحث عن الهوية هو تعبير عن موقف أو اختيار كما فعل "يونس": «**سأكون مضطرا، إن عاجلا أو آجلا أن أختار جهة ما، حتى وإن رفضت اختيار القرار ستنتهي إلى اختيار في مكاني** » .[15] هذا ما جعله يدرك حقيقته ويفكر في العودة إلى (وهران) التي تغيرت وأصبحت مدينة جديدة بتغلبها على الأوبئة والجهل والفساد، أصبحت تعتز بمساجدها وحرفيتها وفرقها الفلكلورية أصحاب البارود... جعلته يستعيد جزءا كبيرا من كيانه المفقود يقول مخاطبا "جوناس" : «**كيف استطعت أن أتخلى عن هذا الجزء الثمين من كياني كان علي الاتيان باستمرار إلى هنا لسد ثغراتي، وصقل قناعتي** » .[16] إن **(وهران)** تمثل الهوية المفقودة والأصل بينما صارت **(ريو صالادو)** تمثل زيف الهوية واللاانتماء وللاوجود، يقول "يونس" : « **ليست حياة، كنا موجودين على وجه الأرض، هذا كل ما في الأمر** »[17]، لكن الأزمة تنفرج بالتخلص من الذاكرة المنشطرة، والثقافة المزدوجة، وترسخ مقومات الهوية الأصيلة، وهنا يتحدد المصير والمستقبل، يقول "يونس" : « **نحن أصحاب الأرض والأرض تتعرف على أصحابها** ».[18]

وعلى النقيض منه تظهر صورة أخرى من صور الأنا المهووسة بالعظمة والتسلط وتقليد القادة الدكتاتوريين، من خلال شخصية القائد **"جيريماGerima"**في (المعادلة الأفريقية) الذي كان ضابطا في الجيش الرسمي، وهو رجل قصير، سمين، شديد السواد، يظهر رأسه ملتسقا مباشرة بأكتافه دون رقبة و لا لحي ، وجهه يكاد يخلو من التفاصيل، يبدو و كأنه كرة منبعجة، بمنخارين مفلطحين، و عيون جاحظة تشتعلان شررا، بطنه المنتفخة أمام،لا يكاد الحزام يشدها، فبعدها تمكن من الفرار من السجن – بعد تحويله إلى المحكمة العسكرية بتهمة التعاون مع العصابات- جمع حوله قطاعا للطرق وكون عصابة خاصة به، ونصب نفسه زعيما يتحكم في مصائر البشر[19]؛ حيث يقول مخاطبا الأسرى : « **أنا القائد جيريما، وهذه مملكتي، فأنا أتحكم في حياة وموت كل واحد منكم، لقد رمى بكم القدر في طريقي، ووقعتم كما يعلق الذباب في شبكة العنكبوت، ولن تستطيعوا الإفلات** »[20] .

وهذا ما جعل الطبيب "كوزمان" يصرح علانية وبإصرار كرهه لـ"جوما" : « **أنا أكرهه، أنا أكرهه لأجل كل ما يمثله بالنسبة إلي : فهو وحش في حالته البدائية وبكل شوائبه الاصلية وعنفه الغريزي وما يمثله من مخاوف و عدائية : شيطان كبير في وحشيته : بناؤه الجسدي الضخم، حركاته، صوته، جنون العظمة فيه، قابليته أذية من حوله ، فكل ما فيه ينذر بالقتل ، اكرهه لأجل ازدراءه للأخرين ، اكرهه لأجل المرارة التي جعلني اشعر بها، والآن حان دوري، فانا لدي إحساس أنه من كثرة ما عانيت منه سأصير شبهه ، أصبحت غير طبيعي من كثرة معاناتي أرى أنه ثقيل على هذه**

الأرض ان تحمل كلانا ، وأن العالم لن يتحمل ولن يستطيع أن يجمعنا في الزمن نفسه، وفي المكان نفسه ، فنحن شخصان يفصل بينهما كل شيء أنه من المستحيل التوفيق بيننا ». [21]

هكذا يصرح "كورت" الألماني بشدة كرهه للأفريقي، ويكررها لمرات عدة، فهو يمثل له أقبح وأبشع الصور التي يمكن أن يتخيلها بشري؛ فهو الوحش عدو لكل الكائنات، وهو الشيطان بحركات جسده الضخم، وصوته المكروه، وجنون عظمته واحتقاره لغيره، فهو الشر نفسه والكره نفسه والقذارة عينها بسبب كل ما جعله يعانيه من إهانات وألم، حتى أنه نقل إليه العدوى فصار هو نفسه يضمر العداوة والحقد له.

إنها الفضاضة والوحشية والبدائية الكامنة في كنه الآخر الجنوبي؛ هذا الآخر المناقض لتحضر الشمالي ومدنيته كواحدة من أبرز الكليشيهات الملصقة بالأفريقي أوسكان الجنوب عامة.

على عكس سكان الشمال الذين وُسمو في الرواية بالإنسانية والإحساس المرهف، يعبر "كورت" عن إخلاصه و حبه لصديقه "برونو **Bruno** هذه الصداقة التي ولدت من رحم معاناة الأسرة حيث التقيا في معسكر القائد "جرما Gerima" اين اقترح "برونو" على "كورت" وضع الماء على جرح صديقه هانز فعرف نفسه على أنه فرنسي و هو عالم في الأعراق و مغرم بأفريقيا، و يساعد الطبيب في إسعاف صديقه و يحذره من مجادلة "جرما" الذي يتميز بالعدائية، و يتقاسمان الزنزانة نفسها، ويتعرفان على بعضهما أكثر فأكثر، حيث يحكي "برونو" ما مر به من مغامرات في أفريقيا، إلى ان يتمكنا في يوم من الفرار معا، فيتوهان في الصحراء ويتقاسمان الماء والطعام ويتشاركان الخوف من المجهول إلى أن يعثر عليهما فريق من الصليب الأحمر. في قوله :**« سأحتفظ دائما ببرونو الرجل ذو الإحساس الرائع، الشجاع حتى في سلوكه الغريب، الذي هو دائما في الخدمة، كريم، قريب من الفقراء مثل القديسين والأنبياء، سعيد لأنه على قيد الحياة رغم النكسات والعديد من الجحود ».**[22]

إن مسألة الهوية تطرح نفسها أمام تناقضات المواقف الحضارية، التي ترسم حدود هوية المجموعات أو الأقطاب؛ فالهوية الأوروبية تظهر دائما في مقابل الهوية الأفريقية، من منطلق التيمات المتراكمة حولهما؛ ما يصعب إيجاد نقطة لقاء أو موقف اتفاق بينهما، وذلكنيبجة للمتناقضات الحضارية التي تسم كل هوية، والتي تجعل الهوية الأفريقية تالية أو على هامش الهوية الأوروبية، وهذا ما تجلى أكثر من خلال التناقض الذي عاشته شخصية "جوناس" نتيجة ترصد طيف شخصية "يونس" لها، وكذا عبر عنه الموقف الرافض من طرف شخصية "كورت" لشخصية "جوما" في حين يظهر التقبل لشخصية "برونو" لأنها من نفس هويتها.

4. اللقاء الحضاري من التنافر إلى التقارب والتلاحم :

يحيلنا "يسمينة خضرا" من خلال روايتيه إلى قضية هامة وهي العلاقة بين الأنا والآخر **« فمعرفتنا بتصورات الآخر عنا ضرورة لمعرفة نوايا هذا الآخر اتجاهنا و لمعرفة أبعاد خافية فينا لا تكتشفها إلا العين الغريبة، لأن شدة الألفة تصيب أحيانا شيئا من العمى، خاصة إذا كان موضوع الرؤيا لصيقا بنا إلى حد يصعب أن نراه بصورة مجردة ، ناهيك عن رؤيته بصورة نقدية أو مستهجنة، كما أن المعرفة قد تساعدنا إذا ما أدركنا تفاصيلها ومراميها في الوقت المناسب، على إحباط ما ينويه الآخر بنا من شرور، وعلى الاستفادة بما يرجوه من خير »**،[23] وهو - في الروايتين - خرج عن الرؤية الأحادية التي تنطلق من نظرة الأنا للآخر إلى نظرة الأنا لنفسها من خلال الآخر عن طريق تعدد المواقف بين كل منهما، لأن **« الصورة لكل من الأنا و الآخر هي صورة متخيلة قبل أن تكون واقعية، فكل طرف يرسم الآخر رسما معينا، هو في التحليل الأخير مبني على خلفيات و نوايا، وعلى فرضيات »** . [24]

ومجتمع الروايتين المتنوع الانتماء بين الأنا المحلية الأفريقية والآخر الأجنبي الأوربي، كان مجالا لتركيب الكثير من الروى والأطروحات الحضارية، وما اختيار الروائي لشخوصه من أقطار شمالية وجنوبية إلا ليعكس تلك الروابط والعلاقات التي يفرضها حكم الجوار أولا، ثم تؤكدها ترسبات الماضي الذي يدلي بظلاله على طبيعة مسارها ووجهتها؛ من هنا كان لها تأثير على طبيعة العلاقة نفسها، بين الأنا والآخر، والتي كانت تشوبها الشحناء وعدم التقبل بالرغم من خوض غمار التجربة بينهما.

فـ**"إزابيل"** رمز (الإغراء وحب السيطرة والتملك) في (فضل الليل على النهار) قد انخدعت بمظهر "جوناس" الجذاب، ورأت فيه الشاب الأنيق المثالي (الأمير) الذي يصلح لأن يكون خطيبا يليق بها وببيئتها، يقول

"جوناس" : « **لقد اختارتني خطيبا لها لأنني استحق ذلك فعلا** »،[25] ليكون المظهر الخارجي هو المعيار بالنسبة للآخر في تحديد المكانة الاجتماعية، وليست القيم الإنسانية التي تربط الأفراد على اختلاف انتمائهم وهويتهم، لكن سرعان ما تغير الموقف إلى الرفض التام حيث تصرح علنا : « **لسنا من عالم واحد، سيد يونس وزرقة عينيك غير كافية** »[26]، وهي هنا تقف عند الحدود الفاصلة بين هويتها وهوية "يونس" التي ولاختلافها تستحيل معها استمرارية العلاقة،« **فالأخرى الغريبة بماديتها وسطحيتها لم تتمكن من استنكاه جوهر إنسانية الأنا، بل سرعان ما تعلن رفضها له لاكتشاف اختلافه عنها وانتمائه لغير ثقافتها وحضارتها. عليه، تكون تجربة الحب بين الطرفين غير ناجحة ما دام معيار خوضها ماديا لا روحيا، فهي بذلك لن تستطيع الاستمرار ولا المقاومة، لأنها ستزول بزوال المبرر المادي (الإعجاب/ العبث/ الأنانية)** »[27].

على عكس العلاقة بين **"يونس"** و**"جان كريستوف"** اللذان تجاوزا خلافات الماضي وصراعاته، فقد كانت العلاقات الاجتماعية السامية أرقى من الأحقاد التي تركتها هواجس الاستعمار، حيث يصف "يونس" الموقف بقوله :«**ارتمينا في حضن بعض البعض كما لو أن مغناطيسا قويا جذبنا**»[28]، لكن هذا الانجذاب لم يكن ليتحقق لو لم تزل أسباب الصراع والنفور بداية التجربة الحضارية بين الطرفين؛ فبزوال الاستعمار وعودة الأرض والحق لأصحابه استطاعت الأنا أن تعيد التواصل مع الآخر المعترف بحقوقها والحدود الفاصلة بينهما.

إن علاقة الصداقة تواجه الكثير من التحديات التي لن تستطيع الاستمرار إلا بتخطيها، واستيعاب المعنى الحقيقي للصداقة وقيمها الحضارية الذي تتجاوز الميولات الشخصية والحسابات البراغماتية التي تعد أبرز عامل لهدمها.[29] ولا أدل من ذلك التجربة التي جعل "يسمينة خضرا" بطله "يونس"/"جوناس" يعيشها مع أبناء الحي الفرنسيين (الأقدام السوداء) ، يقول "يونس" في موقفه منهم ومن أبناء جلدته :« **بدأت الأمور تتغير، ولكنها بالنسبة لي كانت تحدث في عالم متواز، كنت منقسما بين الوفاء لأصدقائي والتضامن مع أهلي** » ،[30]فكأنه كان يشعر بالتوازن بين الموقفين غير مرجح أحدهما على الآخر؛ حيث ترك لكل منهما مكانته، وخصص لكل طرف نوعا من الالتزام : فكان الوفاء بحق الصداقة لزملائه، وكان التضامن مع بني جلدته، وعدم إنكار حق الانتماء إليه. وهو التوازن الذي يتطلبه موقف التسامح الحضاري، في نوع من الألفة بين الذات والآخر فلا هو انكار للذات ولا هو هوس بالآخر، أو العكس.

كان المتن الروائي (فضل الليل على النهار) عبارة عن انعكاس لصورة الواقع الذي فرضه الاستعمار في أرض المستعمرة فترة الاحتلال، وما صاحبه من استعباد وتجويع وتشريد (سياسة الأرض المحروقة)، كوجه مناقض للنموذج الكولونيالي الغربي في نظرته المتعالية المزيفة للحقائق والقيم، فقد « **كان الخطاب الكولونيالي (كما هو معروف) يصور الشعوب المستعمرة، أيا كانت طبيعة تشكيلاتها الاجتماعية وتواريخها الثقافية، بوصفها "بدائية" في مقابل شعوب المستعمرين المتحضرة** »[31]التي تحملت عناء ومشقة نقل تلك الحضارة الموهومة إلى شعوب العالم الثالث البدائية، والتي تبرر في الأخير تلك السياسة الفرنسية المقيتة التي انتهجتها في (الجزائر) إبان احتلالها لها، وما صاحبها من وضع بائس لأصحاب الأرض، في مقابل الرفاهية التي وفرها للمعمر الأجنبي الغريب، «**فالعلاقة بين الأنا والآخر ملتبسة ومركبة تتراوح بين الاعتراف والاستعباد أو بين الصداقة والعداوة أو بين الممهاة والاستئصال**».[32]

وهذا الموقف نصادف مثله في (المعادلة الإفريقية)، والذي تحققه الشخصية **"إلينا Elina"** التي تعبر عن وضعية الهوس اتجاه كل ما هو أفريقي، والتي تقف في حالة انبهار أمام المعجزات التي تراها عند الأفريقيين، إنها طبيبة اعتادت على تفسير الظواهر الطبيعية والصحية بطريقة علمية، تقف مذهولة أمام العجوز التي عادت من الموت بعد تمسك ابنها بها ورفضه التخلي عنها، رغم تأكيد الأطباء عن عدم جدوى إسعافها لأنهم فقدوا الأمل في نجاتها، فتعبر عن انبهارها بما رأته من سكان أفريقيا فتقول لكورت: «**هذه القارة، مباركة ، كورت ، لا أدري كيف أقول، الناس هنا .... لا أجد الكلمات .**

كورت : غريبون

إلينا: ليس المعنى الحقيقي، هم يحملون في داخلهم نوعا من الحكاية، أو حقيقة لا نستطيع إدراكها. هذه الحقيقة تتعداني لدرجة أني أقف أمامها مرتجفة هناك روح مقدسة عند هؤلاء الناس، شيء يزيد من إيماني، لكني لا أدرك ما هو

بالضبط»،[33] فهي تعبر عن إعجابها بقوة الروح، والتمسك بالحياة والأمل عند الأفارقة، و التي تجعلهم يتحدون الصعاب ويحققون المعجزات التي يعجز مجتمع "إلينا" المادي أن يحققها، وهو عين التناقض بين أفريقيا الغارقة في الطقوس الروحانية وأوروبا طغت عليها المادية.

وليغوص "ياسمينة خضرا" أكثر في الحياة الأفريقية، أو ليكشف سرا من أسرارها المتناقضة، يرسم نموذج الفتى **"شاولوchaolo "** أو (القمر الأسود black moon) -كما لقبه الكاتب - هذا المراهق الأفريقي الأسود الرقيق، بوجه مصقول، وعيون منتفخة ، والذي ميزته إطارات النظارة دون زجاج التي لا ينزعها أبدا، مراهق كغيره من المراهقين الأفارقة محب لكرة القدم ، هذا الشغف الذي ورثه عن أبيه الذي كان يعشق اللاعب الألمانيBecembaur، ويقلده في لعبه حتى أن صورته كانت معلقة على جدار كوخهم، فأحب الولد هذه اللعبة أيضا ولاعبيها "ميسي"، "رونالدو"، "دروقبا" و"زيدان".[34]

إن "شاولو" شخصية تجمع بين متناقضين لا يتكاملان (الفن والعنف)؛ فهو بممارساته العدوانية الاعتدائية؛ يظهر الجانب العني القاسي الهمجي منه، لكنه في داخله مفعم بالحيوية والإحساس المرهف بحبه لرياضة كرة القدم، إنه البحث – من طرف "يسمسنة خضرا "- عن روح الفنان السمحة بداخل قاطع الطرق الهمجي، الذي ليس عنيفا بالأصالة؛ لكن الظروف المعيشية هي التي حتمت عليه أن يكون كذلك، لذا تضيق روحه بذلك العنف والتسلط فتنفر منه وتواجه العنف نفسه معلنة رفضها له ولو كان ذلك في مقابل فقدانها الحياة، فروحه تنشد السلام الإنساني.

وعلى الرغم من أن "شاولو" تلميذ لـ"جوما" الذي يعتبر مثله الأعلى، فقد تأثر به من خلال كتبه وأشعاره، حتى أنه خرج معه من القرية وانضم إلى العصابة التي كان يقودها، وحمل السلاح وأصبح يهاجم الناس بدافع حبه وتقليده لبطله "جوما"، لكنه بداخله كان غير مقتنع بما يفعله، ويحن إلى الحياة الهادئة في قريته، رغم الظروف الصعبة والفقر، فيقول مخاطبا "جوما" :**« جوما ! لقد عرفتك رقيقا فأصبحت قاسيا مؤذيا، تضرب وتصرخ، وتجعلني أرتبك كل يوم أكثر، أعتقد أن الحرب قذرة، وهي التي تجعل الناس حقيرين، فلتذهب إلى الجحيم ! وأنه لما تستطيع الإجابة عن الأسئلة التي تغضبنا في يوم ما، سنعود إلى ديارنا، لكنك للأسف لا يظهر عليك أنك تريد العودة للقرية، ولا أن تعود شخصا منطقيا كما كنت، هل تتذكر؟ أترى؟ هذا الشيء أفتقده اليوم ».**[35]

ويحاول أن يعيد صديقه ومعلمه "جوما" إلى رشده، وأن يوقظ الإنسان النائم بداخله، فيستعطفه مرارا وتكرارا أن يعود كما كان مسالما بعيدا عن العنف، باسم الصداقة والمحبة التي جمعتهما، لأنه يحبه ويريد له الخير، فيقول له :**« لما أنظر خلفي، لا أرى شيئا مما كنا عليه سابقا أنت وأنا. لست فخورا بالطريق الذي سلكناه، حتى كتبك لم تعد رائحتها طيبة... لقد استمعت إليك طوال حياتي. الآن عليك أن تستمع إلي لا أملك كلمات ضخمة ولا ثقافتك لأقنعك، لكن أريد أن تعلم أن محبتي لك لم تتغير ولأني متمسك بها، لا أوافق تصرفاتك ».**[36]

ولكن "جوما" لم يستجب له رغم محاولاته إقناعه بإطلاق سراح الرهائن، والعودة إلى حياتهم الهادئة السابقة قرر أخيرا التمرد على قائده وقُدوته، فأعلن عصيانه قائلا : « **لا أريد أن أرفع يدي على أي شخص، جوما، لقد كرهت، أريد العودة إلى الديار، حكايات الثورة والعدالة وغيرها، لم تعد تهمني، لم أعد أؤمن بها سنوات ونحن نجري يمينا وشمالا، ولا أرى حتى الآن آخر النفق، ما الذي تغير منذ أن أصبحنا نلعب دور الثوار؟ لا شيء. أتعرف لماذا ؟ لأنه لا يوجد ما نغيره، العالم هو العالم لن يتغير ولا يوجد شخص يأخذ مكان الإله ليغير ذلك ».**[37]

ووسط هذه المشاعر المتقدة يحاول الفتى أن يساعد الأسيران للهروب فيفك قيودهما ويتشاجر مع "جوما"، وفي النهاية يطعن نفسه بالسيف الذي كان يحمله منتحرا، وهنا نشعر أن الذي مات ليس الفتى بل صديقه "جوما" الذي ضمه إليه وبدأ يبكي كالأطفال ويصرخ لدرجة أن الجبال كانت تردد نواحه.

ومن الشخوص التي حمّلها الروائي رؤيته الحضارية تجاه أفريقيا شخصية**"بورنو Bruno "** الفرنسي، أبيض، خمسيني، رقيق العود، بشعر أشيب، طويل حتى كتفيه، بلحية منتشرة عشوائيا على وجه، أضلاعه بارزة، وبطنه ملتصق بظهره، عيناه تبرقان مثل عيني مجنون، وهو عالم بالأعراق البشرية موجود في أفريقيا منذ أربعين سنة، وهو يعشق كل ما هو أفريقي، وقع في الأسر مع صحفي إيطالي، وتم إطلاق سراح الصحافي مقابل فدية، أما هو فظل ينتقل من عصابة لأخرى مقابل مبالغ رمزية إلى أن يلتقى بالطبيب "كورت" وصديقه "هانز" في الأسر، حيث

نكتشف من خلال كلامه التجارب، والمحن الكثيرة التي مرت عليه، فأكسبته خبرة في الحياة، وحسن التصرف في المواقف، ومن خلال كل ذلك تظهر هذه الشخصية المثقفة التي تحمل بعد نظر، ونظرة عميقة للأمور، خاصة فيما يخص السياسة والحرب، فيقول مخاطبا "كورت" : « **لقد أصيب العالم بعمى ألوان ففي نظر البعض كل شيء أسود والبعض الآخر يرى كل شيء أبيض، تساوى الخير والشر ومن هنا فصاعدا صارت مسألة صياد وفريسة فالصياد مهووس بتوسيع نطاقه والفريسة مهووسة بالعيش والبقاء على قيد الحياة** »[38]، والروائي – بذلك – يفسر حقيقة الصراع بين الشمال الذي يحاول بسط نفوذه وسيطرته، والجنوب الذي مازال يصارع من أجل الحرية والبقاء.

كما يصف حالة الفوضى التي يعيشها العالم، وكيف انقلبت الموازين، واختفت الهويات، والثقافات التي تميز كل مجتمع عن الآخر، فأصبح لكل شيء ما يبرره حتى الهمجية والعنف الذي كان مرفوضا من قبل وهو يخاطب الطبيب "كوزمان"قائلا : « **لم يعد هناك فرق بين القطب الشمالي والقطب الجنوبي، ولا بين الشرق والغرب، أتدري لماذا يا سيد كوزمان؟ لأنه لم يعد هناك درجة اختلاف، وإذا غاب الاختلاف والتميز، باستطاعة أي شخص تبرير أي شيء حتى الهمجية الأكثر رفضا** »[39] .

فمن خلال هذه المقولة نلاحظ أن "بورنو" يتطرق إلى قضية هامة، وهي قضية طمس هوية الشعوب (نتيجة الهوس) من خلال الغزو الثقافي والسيطرة الفكرية، فلم يعد هناك ما يميز ثقافة الشرق عن ثقافة الغرب كما كانتا في السابق، مما قضى على الاعتزاز بالهوية والتمسك بالتقاليد والقيم التي تميز مجتمعا عن الآخر، كما أنه وضع مبررات لكل التصرفات التي كانت مرفوضة سابقا حتى وإن كانت عنيفة، وهنا يقصد التدخل العسكري للغرب، وقتل الأبرياء في أفريقيا والعالم الثالث بحجة نشر الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان، أو حماية الأقليات، وغيرها من المبررات المقننة حسب أهداف القوى الغربية المسيطرة.

على هذا تتضح « **طبيعة العلاقات التي يجب أن تسود بين الحضارات كنمط من أنماط العلاقات الدولية التي تقوم على تبادل المصالح والتعايش** »[40]؛ فلا يعني تقبلنا للآخر الانسلاخ عن معالم هويتنا، والانجراف وراء الآخر، وإنما زيادة الوعي بذواتنا وحدود أصالتنا، وهي ما سعت الرواية إلى تأكيده؛ من أجل الانفتاح على أفريقيا بدلا من محاولة طمسها وتهميشها حضاريا بعدما أُخضعت واستُنزفت كولونياليا.

وتبقىالعبارة التي كان يرددها له دوما صديقه "برونو" راسخة في ذهن "كورت" :« **لا تنسى يا صديقي ما قلته لك . كورت من يرى أفريقيا مرة واحدة سيموت أعمى**».[41]وفعلا تتحقق نبوءة "برونو" في الأخير ويشد "كورت" سحر أفريقيا ليجلبه إليها من جديد، ويعود مرة أخرى ويلتقي بصديقه "برونو" هناك.

إنها دعوة من "ياسمينة خضرا"للنظر إلى أفريقيا العميقة، أفريقيا الجمال الأصيل، أفريقيا الصراع من أجل البقاء، أفريقيا الروحانية المتدثرة بثوب الصلابة والقساوة والانغلاق في وجه الآخر؛ بل هي الدعوة إلى مناجاه تلك الروح السمحة والإنسانية المتأصلة في أعماق الفرد الأفريقي.

وتقدم الروايتان نموذجا للأنا في **صلتها** بالآخر، من خلال علاقة أكثر عمقا ونضجا، وهي التي شرحها الروائي بصبها في قالب **(علاقة الزواج)** التي ربطت العم **"ماحي"المجاهد الجزائري**، في قصته مع زوجته **"جيرمين"الفرنسية** المسيحية، فرغم العلاقة المتوترة التي كانت تسود البلاد والصراع بين الأنا المستعمَرة والآخر المستعمِر، إلا أن العلاقة التي كانت تربط الشخصيتين في الجامعة **(الإعجاب والحب)** استطاعت أن تتطور إلى علاقة زواج حقيقي، حافظت فيه كل شخصية على مقومات هويتها ومعالم انتمائها؛ « **فكان الثنائي يشكل الزوج الأكثر احتراما** »[42]، فعلى الرغم من تكوين العم "ماحي" العلمي في جامعة فرنسية وزواجه بشابة فرنسية؛ إلا أنه بقي محافظا على قيم جزائريته بكل معالمها، فلم يتخل على روحه الوطنية، ولم يجد مانعا في الانخراط في صفوف الحركة الوطنية، لقد كان«**رجل ثقافة قارئ مواضب ومصغ للاضطرابات التي تحرك العالم العربي، فكان متضامنا مع القضية الوطنية التي بدأت تنتشر في أوساط النخب المسلمة** »[43].

لقد مثل العم نموذج الحامي المحافظ على هويته الجزائرية وانتمائه لوطنه، من خلال تلك الوقفات التعريفية والتذكيرية حول مقومات الهوية الوطنية التي تكاد تمحى تحت طائلة الاستدمار والنسيان؛ وذلك بتذكير الفتى "يونس" بهوية الآباء والأجداد، والتعرف على الأجداد من خلال لوحة العائلة التي كانت فيها صورة معلقة للجدة "لالة فاطمة" قائلا

عنها : « **كانت جميلة، لالة فاطمة، كانت متكئة على وسادتها، الرقبة مستقيمة والرأس شامخ فوق قميص من القفطان المرصع بالذهب والأحجار الكريمة يبدو كما لو أنها تتسيّد على البشر وأحلامهم** »[44]، فالمقطع من خلال وصفه للجدة وما تتسم به من الشموخ والشهامة والعظمة ترسيخ لمعالم الشخصية الجزائرية الحرة، ورمز الذاكرة الأصيلة؛ فبالحديث عن التاريخ الذي خلدته "لالة فاطمة" واستحضار الماضي والتاريخ الأصلي، تاريخ الأجداد- على خلاف التاريخ المزيف الذي يتعلمه "جوناس" في المدرسة- وعبر مسار الحكي تعرف البطل على أعمامه وأجداده الذين كان منهم العالم والفقيه والمهاجر، بهذا الحديث أراد العم أن يغرس روح الانتماء الأصيل في فؤاد الفتى وسريرة نفسه، وأنيعلمه الاعتزاز بتاريخ أجداده وهو تاريخ العلماء والفقهاء والأعلام الكبار، ليعزز هذا كله بقوله: «**ربما تتساءل لماذا أحكي لك كل هذا يا ولدي... لكي تعرف جذورك جيدا . بداخل عروقك، تجري دماء لالة فاطمة** ».[45]

الأمر نفسه مع الأخرى "جرمين" التي لم يمنعها تواجدها بفضاء أجنبي وزواجها بالجزائري "ماحي" أن تحافظ على هويتها المغايرة لهويته، وأن تمارس طقوس ديانتها المختلفة في منزل "ماحي" « **حيث كانت تنزوي في غرفتها، راكعة على ركبتيها أمام الصليب وتغرق في دعاء طويل** ».[46]

فمشروع الزواج بين الشاب المسلم والفتاة المسيحية قائم منذ البداية على **قيمة الاحترام والتقبل**، مما أزال كل أشكال العوائق التي تحول دون نجاحه، فهناك وعي ونضج (حضاري) بين طرفي العلاقة، فالأنا المسلمة تحمل « **نظرة متسامحة اتجاه الآخر بصورة عامة... دون تحديدي بدرجة تحضر أو لون أو لغة أو دين** »[47]، فلم تجبر هذه العلاقة أيا من طرفيها التخلي عن هويته والتنكر لانتمائه الثقافي أو الديني أو العرقي، بل عملت على تقبل كل منها الآخر كما هو باختلافاته، وهذا ما نتج عنه هدوء وتوازن واستقرار روحي واستيعاب ألغى كل حسابات النظرة النمطية الموروثة، والأمر ذاته بالنسبة لـ"جرمين" التي تقبلت "ماحي" بكليته، متجاوزة حدود المقولة الكولونيالية المسيحية المتحاملة.

كما قدمت (المعادلة الأفريقية) نموذجا آخر جمع بين **الفرنسي"برونو"والجيبوتية "سعاد"**، مجسدة ذلك الهروب إلى الآخر، الهروب إلى الأنس والألفة من وحشة الوحدة والمادية، وهذا ما صرح به في رسالته حين كتب لصديقيه بعد عودته من فرنسا إلى أفريقيا مرة أخرى : « **أما من جهتي الآن أحس بالاستقرار، وجدت رفيقتي وانتقلت إليها في جيبوتي، اسمها سعاد... إنها حين تستيقظ في الصباح الباكر تنير حياتي بيوم جديد ...** »[48]، فرحلة العودة لأفريقيا تتوج بوثاق الاتصال بالأفريقية "سعاد" رمز النور والحياة ومن ثم الزواج بها، ليكون هذا الزواج وثاق رباط بين المنظومتين ثقافيتين مختلفتين، لم تمنعهما اختلافاتهما وبعدهما الجغرافي أن يتصلا ببعضهما ويوطدا ذلك الاتصال من خلال الزواج كمنظومة متوجة لمنظومتي الصداقة والمحبة التي جسدتها مختلف العلاقات بين شخصيات مجتمع الرواية.

5. خاتمة:

يمكننا القول في الختام أن "ياسمينة خضرا" من خلال الروايتين - محل الدراسة- كشفت عن طبيعة العلاقة بين الأنا الأفريقي والآخر الأوروبي، والتي هي علاقة يشوبها التوتر والنزاع خلفتها السياسات الإمبريالية ورسختها تابعتها الكولونيالية،ولقد سعى إلى تقديمنموذج جديدللعلاقة التي تجمع قطبي العلاقة الحضارية (القطب الشمالي والقطب الجنوبي) طارحا بدلا عنها مشروع الحوار الحضاري بين الأنا والآخر عامة، و من جهة أخرى بين الجزائري والفرنسي، والأفريقي والأوروبي بصفة خاصة، لكن هذا الحوار الحضاري يمكن أن يأخذ أشكالا محددة، أكدتها الروايتان في شكل العلاقات التي ربطت شخصيات الأنا بالشخصيات الغيرية، وذلك من خلال الصداقة التي جمعت في (فضل الليل على النهار) الشاب الجزائري"**يونس**" و"**جانكريستوف**" وباقي الشبان من الأقدام السوداء، والمحبة التي جمعت "**جوناس**" مع امرأة الآخر والتي كانت الفوارق الحضارية والثقافية من أكبر العراقيل التي اعترضتها، ما صعب اللقاء الحضاري بينهما،ومن خلال نموذج العلاقة بين الطبيب الألماني "**كيرتكروزمان**" وصديقه "**هانز**" و"**بورنو**" الفرنسي، وموقف كل منهم من الأنا الأفريقيبكل ما حوته من اضطراب وتنافر، كما حاول كشف الجانب الإنساني للأفريقي قاطع الطرق المتسلط العنيف من خلال علاقة الفتى "**شاولو**"و"**جيريما**" الأفريقيين في (المعادلة الأفريقية).

كما قدم أطروحة الزواج كنموذج للاستيعاب الحضاري القائم على تقبل الآخر كما هو،وتقبل مقومات اختلاف هويته عن مقومات هوية الآخر، فأطروحة الزواج بين الأفريقي والأوربية ("ماحي" و"جرمين") أو بين الأوروبي والأفريقية ("بورنو" و"سعاد") تجسيد فني لأطروحة التزاوج الحضاري وتحاور الحضارات؛ حيث تحقق تآلفهمابتجاوزهما للعراقيل الشخصية والثقافية والاجتماعية والسياسية من منطلق استيعاب قالب الاحترام والتسامح الحضاريين.

الهوامش :

1الهوس : هو موقف أساسي لرؤية الآخر يتم من خلاله التفضيل الإيجابي للأجنبي في مقابل رؤية سلبية انتقاصية للثقافة الأصلية. أما الرهاب فهو موقف تعد فيه الثقافة الناظرة نفسها في مرتبة أعلى، مقابل تدني الثقافة الأجنبية.ينظر Daniel-Henry Pageaux, La Littérature Générale et Comparée, Armand Colin Editeur, Paris, 2001, p.71.

2 هو فكرة مسبقة الصنع، مؤسسة على معتقدات مبالغ فيها، تلصق بجماعة ما. فصناعته تعتمد على الأحكام القيمية العامة وغير المؤسسة التي تطلقها الأنا على الآخر. ينظر G-M. Moura, Lire L'Exotisme, Ed. Dunod, Paris, 1992, p.195

3 محمود خضر الخربوطلي، إشكاليات الوضع الراهن في العالم العربي في ضوء فكر ما بعد الكولونيالية في إفريقيا، النقد الثقافي ودراسات ما بعد الكولونيالية، المؤتمر الثالث للبحث العلمي في الأردن، الجمعية الأردنية للبحث العلمي، 17/ 11/ 2007، ص.40.

4 جورجطرابيشي،شرقوغرب،رجولةوأنوثة،دراسةفيأزمةالجنس والحضارةفيالروايةالعربية،دارالطليعةللطباعةوالنشر،بيروت،لبنان،ط 4 .،1997 ، 142.

5 فطيمة بن ربيعي، نموذج ما بعد الكلونيالية في رواية (فضل الليل على النهار) لـ"ياسمينة خضرة"، مجلة تعليميات، مجل.8 ، ع.2، ديسمبر 2019، ص.191.

6Daniel-Henry Pageaux, La Littérature Générale et Comparée, Armand Colin Editeur, Paris, 2001, p.72.

7 تيبري هنتش، الشرق الخيالي ورؤية الآخر، صورة الشرق في المخيال الغربي الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسط، تر. مي عبد الكريم حمودة، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، ط.1، 2006، ص.27.

8Daniel-Henry Pageaux, La Littérature Générale et Comparée, p.72.

9 ينظر صمويل هنتغون، صدام الحضارات (إعادة صنع النظام العالمي)، تر. مالك عبد أبو شهيوة، ومحمود محمد خلف الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ص.106.

10 عبد العزيز بن عثمان، الهوية والعولمة من منظور التنوع الثقافي، منظمة الايسيسكو، ط. 2 ،2015 ،ص.17 .

11Yasmina Khadra, L'Equation Africaine, Edition France Loisir, 1 Aout 2011, p.242 .

11 بيل اشكروفتوجاريثجريفيث، وهلين ثيفين، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسة، تر. أحمد الروبي وأيمن حلمي وعاطف عثمان، تق. كريمة سامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط.1، 2010، ص.77.

13ياسمينة خضرا، فصل الليل على النهار، تر.محمد ساري، وزارة الثقافة، الجزائر، د.ت، ص.93.

14 فطيمة بن ربيعي، نموذج ما بعد الكلونيالية في رواية (فضل الليل على النهار) لـ"ياسمينة خضرة"، ص. 184.

15 ياسمينة خضرا، فصل الليل على النهار، ص.249.

16المصدر نفسه، ص.373.

17المصدر نفسه، ص.12.

18المصدر نفسه، ص.399.

19 Voir Yasmina Khadra, L'Equation Africaine, p.72.

20Ebid, p.72.

21Ebid, P. 112.

22Ebid,p.233.

23صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي، دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة ط1 1406 هـ 1996 م ص51.

24عبد الحميد حنون ، صورة الفرنسي في الرواية المغربية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص82 .

25 ياسمينة خضرا، فصل الليل على النهار،ص.166.

26 المصدر نفسه، ص.167.

27 فطيمة بن ربيعي، نموذج ما بعد الكلونيالية في رواية (فضل الليل على النهار) لـ"ياسمينة خضرة"، ص.191.

28 ياسمينة خضرا، فصل الليل على النهار، ص.539.

29 فطيمة بن ربيعي، نموذج ما بعد الكلونيالية في رواية (فضل الليل على النهار) لـ"ياسمينة خضرة"، ص.188.

30ياسمينة خضرا، فصل الليل على النهار، ص.537.

31 بيل أشكروفتوآخرون،الإمبراطورية ترد بالكتابة، تر. خيري دومة، دار أزمنة، عمان، الأردن، ط.1، 2005. ص.102.

32 علي حرب، تواطؤ الأضداد، ص. 113.

33Yasmina Khadra, L'Equation Africaine, p. 159.
34VoirEbid, p.130.
35Ebid, p.130.
36Ebid, p.130.
37Ebid, p.129.
38Ebid, p.138.
39Ebid, p.138.
40 أحمد عارف، معوقات الحوار بين الشرق والغرب، دفاتر السياحة والقانون، جامعة البلقاء التطبيقية، المملكة الأردنية الهاشمية، ع.3، جوان 2015.
41Yasmina Khadra, L'Equation Africaine, p. 207.
42 ياسمينة خضرا، فصل الليل على النهار، ص.325.
43المصدر نفسه، ص.146.
44 المصدر نفسه، ص.101.
45 المصدر نفسه، ص.104.
46 المصدر نفسه، ص.140.
47 نادر كاظم، تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وزارة الإعلام والثقافة والتراث الوطني، البحرين، ط.1، 2004، ص.ص.17،16.
48 Yasmina Khadra, L'Equation Africaine, p. 233.

قائمة المصادر والمراجع :

1. أحمد عارف، معوقات الحوار بين الشرق والغرب، دفاتر السياحة والقانون، جامعة البلقاء التطبيقية، المملكة الأردنية الهاشمية، ع.3، جوان 2015.
2. بيل اشكروفتوجاريثجريفيث، وهلين ثيفين، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسة، تر.أحمد الروبي وأيمن حلمي وعاطف عثمان، تق.كريمة سامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط.1، 2010.
3. تيبري هنتش، الشرق الخيالي ورؤية الآخر، صورة الشرق في المخيال الغربي الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسط، تر. ميّ عبد الكريم حمودة، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، ط.1، 2006.
4. جورجطرابيشي،شرقوغرب،رجولةوأنوثة،دراسةفيأزمةالجنس والحضارةفيالروايةالعربية،دارالطليعةللطباعةوالنشر،بيروت،لبنان،ط 4 .، 1997
5. صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي، دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة ط1 1406 ه 1996م .
6. صمويل هنتغون، صدام الحضارات (إعادة صنع النظام العالمي)، تر. مالك عبد أبو شهيوة، ومحمود محمد خلف الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، د.ت.
7. عبد الحميد حنون ، صورة الفرنسي في الرواية المغربية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
8. عبد العزيز بن عثمان، الهوية والعولمة من منظور التنوع الثقافي، منظمة الايسيسكو، ط. 2 ،2015
9. فطيمة بن ربيعي، نموذج ما بعد الكولونيالية في رواية (فضل الليل على النهار) لـ"ياسمينة خضرة"، مجلة تعليميات، مجل.8 ، ع.2، ديسمبر 2019.
10. محمود خضر الخربوطلي، إشكاليات الوضع الراهن في العالم العربي في ضوء فكر ما بعد الكولونيالية في إفريقيا، النقد الثقافي ودراسات ما بعد الكولونيالية، المؤتمر الثالث للبحث العلمي في الأردن، الجمعية الأردنية للبحث العلمي، 17/ 11/ 2007.
11. نادر كاظم، تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وزارة الإعلام والثقافة والتراث الوطني، البحرين، ط.1، 2004
12. ياسمينة خضرا، فصل الليل على النهار، تر.محمد ساري، وزارة الثقافة، الجزائر.
12. Daniel-Henry Pageaux, La Littérature Générale et Comparée, Armand Colin Editeur, Paris, 2001.
13. G-M. Moura, Lire L'Exotisme, Ed. Dunod, Paris, 1992
14. Yasmina Khadra, L'Equation Africaine, Edition France Loisir, 1 Aout 2011